

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟! قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟! فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَثَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ لَدَيْكَ! (مسلم). وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عن الأعراب حينما ادَّعَوْهُ وَهُمْ لَمْ يَمْتَثِلُوا بِهِ أَوْ يَعْتَقِدُوهُ فِي قُلُوبِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } (الحجرات: 14)؛ ولهذا يُكْتَبُ فِي الْبِطَاقَةِ (مسلم)، وَلَا يُكْتَبُ (مؤمن)؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ!!

ثانياً: صفات المؤمنين في القرآن الكريم

لقد وصف الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين بصفات عديدة في القرآن الكريم، من هذه الصفات: -
إصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، وذكر الله، والخوف والوجل، والتوكل على الله، وتلاوة القرآن الكريم، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الخير: كما في قوله تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال: 1-4].

ومنها: عمارة المساجد: كما في قوله تعالى: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } (التوبة: 18).

ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: كما في قوله تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (التوبة: 71).

ومنها: الخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفروج، وأداء الأمانات، والمحافظة على الصلوات:

وقد جاء كل ذلك في سورة تُسَمَّى بسورة (المؤمنون) تصدّرت بصفاتهم، قال تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون: 1-11].

وغير ذلك من الصفات التي وردت في ثانياً القرآن الكريم والتي ذكّرت صراحةً أو ضمناً !! لذلك ينبغي على العبد أن يتحلّى بجميع هذه الصفات؛ حتى يكون في زمرة المؤمنين حقاً.

ثالثاً: عوامل زيادة الإيمان

إنّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فهو شعّب، وكلما ارتقيت شعبة، ارتفعت درجة إيمانك، فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ (البخاري ومسلم).



وقد يقول قائل: إني أحب أن يزداد إيماني؛ فما هي عوامل زيادة الإيمان؟ أقول: هذه العوامل تتلخص فيما يلي:

أولاً: المداومة على تلاوة القرآن: ففي قراءته وتلاوته يزداد الإيمان ويدل على ذلك قول الله عز وجل في وصف المؤمنين الصادقين: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} (الأنفال: ٢).

ثانياً: الإكثار من ذكر الله تعالى: ويدل على ذلك قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } (الأنفال: ٢). فذكر الله فيه طمأنينة للقلب، ويصحبه زيادة في الإيمان، قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } . (الرعد: ٢٨). لذلك كان السلف الصالح - رضي الله عنهم - يحرصون على الذكر، ففي شعب الإيمان للبيهقي: " عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحه قال لصاحب له: " تعال حتى نؤمن ساعة " قال أو لسنا مؤمنين؟ قال: " بلى ولكننا نذكر الله فزداد إيماناً " . وقال عمير بن حبيب: " الإيمان يزيد وينقص . فقيل فما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا ربنا وخشيانه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسيانه وضيعنا فذلك نقصانه " [انظر الإيمان لابن أبي شيبه] .

وذلك لأن القلب يموت، وينقص إيمان العبد كلما كان بعيداً عن ذكر ربه، وفي هذا علامة على الغفلة والنفاق، قال تعالى في وصف المنافقين: {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء: ١٤٢).

ثالثاً: حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والحرص عليها: فكلما كان الإنسان حريصاً على حضور مجالس الوعظ والتذكير والخطب والدروس كلما ازداد إيمانه،

ولذلك تجد الرجل عند سماع درس الجنازة - مثلاً - يزداد إيماناً وخشوعاً وتقوى، فإذا خرج وانشغل بمتطلبات الحياة نسي كثيراً، وهذا ما وجدته الصحابة في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فعن حنظلة الأسدي قال: " لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نأفق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟! قال قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنأقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نأفق حنظلة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك نذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات نسينا كثيراً. فقال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات" (مسلم). والضيقات: هي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة .

رابعاً: تقديم حب الله ورسوله على هوى النفس: فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار. " (متفق عليه). وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم قال: " من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان " . (أبوداود).



